

الفصل الأول
تحرير المرأة في مرحلة الولادة
والطفولة

توطئة .

المبحث الأول : تحرير المرأة بكفالة حق الحياة .

المبحث الثاني : تحرير المرأة في مراحل التربية والتنشئة
الأولى .

أولاً : حق الرضاعة .

ثانياً : حق النفقة .

ثالثاً : حق التربية والتعليم .

تحرير المرأة فى مرحلة الولادة والطفولة

نوطئة :

إن التنشئة الأولى للأبناء هى أخطر مرحلة فى حياتهم ، فهى مرحلة الإعداد الجسدى والتربية النفسية والخلقية والدينية ، فالنجاح فى هذه المرحلة هو الإعداد القويم لكل المراحل التالية له .

فإذا نشأ الإنسان على أسس صحية وخلقية ودينية سليمة ، كان فى ذلك الزاد الذى لا ينتهى لمواجهة الحياة بما فيها من مشقة وكد وكبد وصعوبات ، وأفراح وأتراح وغير ذلك ، ولذلك كان اهتمام الإسلام بهذه المرحلة اهتماماً عظيماً .

فإكتساب العلوم والخبرات والآداب فى الصِّغر هو بمثابة النبع الصافى الذى لا ينضب ، والكنز الثمين الذى لا ينتهى ، والمستمر العطاء من المهد إلى اللحد . فالتعليم فى الصغر كالنقش على الحجر ، ولا تنتهى آثاره أبداً وكلما قدم به الزمن ارتفعت قيمته وعلا سعره . فمرحلة الطفولة هى مرحلة تشكيل الطفل نفسياً وجسدياً وعلمياً ، والإعداد للحياة

هذا ، وستكلم فى هذه الفصل عن المباحث التالية :

المبحث الأول : تحرير المرأة بكفالة حق الحياة .

المبحث الثانى : تحرير المرأة فى مراحل التربية والتنشئة الأولى .

أولاً : حق الرضاعة .

ثانياً : حق النفقة .

ثالثاً : حق التربية والتعليم .

هذا ، وسناقش فى نهاية كل مبحث مطالب قاسم أمين عن ذلك ، ومدى اتفاقها أو اختلافها مع الإسلام .

المبحث الأول

تحرير المرأة بكفالة حق الحياة لها وهى وليدة

إن نظرة الإسلام للمرأة تنسم بالشمول والتكامل ورفعة المستوى ، فقد شملت كافة مراحل حياتها منذ ميلادها كطفلة فصبية فشابة ، ثم كخطيبة وزوجة وإن مال بها الدهر فكانت أرملة أو مطلقة ، وبلغ بها التكريم أرقى منزلة كأم .

لقد أطل الإسلام بأنواره التوحيدية والتشريعة على العالم ، حين كانت ظلمات الجهل والجور والظلم والاستبداد مطبقة على جميع أركانه ، فكانت الرسالة المحمدية هى السبيل لإنارته : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] .

وكان من العادات البغيضة المتفشية فى كثير من الشعوب والأمم حتى الحضارات الراقية - بما فيهم العرب - كراهية ولادة البنت ، الذى كان يُعد عاراً يجب التخلص منه - أى وأده بقتله حياً - بمجرد خروجه إلى الحياة ، أو فى فترة الطفولة المبكرة .

ويرجع ذلك لاحتقار الديانة اليهودية للمرأة ، حيث جاء بسفر الجامعة : « فوجدت أن المرأة التى قلبها أشراك وشباك ، ويدها قيود ، هى أمر من الموت ، ومن يُرضى الله يهرب منها ، وأما الخاطئ فيقع فى أشراكها » [الجامعة : ٧ / ٢٦] ، وجاء فى سفر آخر : « وكانت امرأة جالسة فى وسط الإيفة فقال : هذه هى الشر » [زكريا ٧ / ٥ ، ٨] .

وجاء بالإنجيل : « عار على المرأة أن تتكلم فى الجماعة » [إكورنثوس : ١٤ / ٣٥] ، وهذه الفقرة توضح مدى نظرة الاحتقار المسيحى للمرأة ، التى ورثها آباء الكنيسة : « القسس والقادة الدينيين » عن اليهود ، والمستقاة من التوراة وتعاليم « بولس » .

أما الإسلام فقد استنكر وحرم هذه العادة الوحشية القبيحة فقال تعالى مبيناً

ضلال من يفعل ذلك : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ ﴾ يتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٨ ، ٥٩] .

والآيات توضح أن مجرد البشري بمولد بنت يجعل والدها مسود الوجه وكأنه أصيب بمصيبة لا دافع لها ، أو بقضاء لا راد له ، حتى أنه يحبس غيظه في صدره ، ويختبئ حتى لا يراه أحد من الناس فيُعيرهُ وَيَسُبُّهُ ، ويكون هذا الوالد بين أمرين كلاهما مُر ، أترك وليدته ويكون مُهاناً بين الناس ، أم يدفنها حية في التراب .

ويستنكر الحق تبارك وتعالى كلا الأمرين ، ويعتبر هذه النظرة الدونية للفتاة هي من ضعف العقل وانعدام الحكمة .

ثم أوضح الله خسران قاتل ابنته ، التي هي رزق من رزق الله ، قد يجلب الله له الخير بسببها أو على يديها فيقول تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤] ، كما قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ٤٩ ﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٤٩ ، ٥٠] .

وعلى ذلك أمر الله أمراً قاطعاً مانعاً بعدم قتل البنات فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] ، إنها نصيحة إلهية للفقراء ألا يخافوا ازدياد الفقر نتيجة لإنجاب البنات أو الذكور فالله يرزق الجميع ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣١]

وهذه نصيحة للأغنياء ألا يخافوا ذهاب الغنى أو قلة الرزق بسبب إنجاب البنات أو الذكور ، ويؤكد تبارك وتعالى على أنه الرزاق للجميع ، وأن قتل الأبناء خطيئة عظمى .

وفي النهاية ، وبعد هذه الوصايا والنصائح والأوامر ، كان الجزاء لمن يعصى

الله : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير : ٨ ، ٩] .

فكيف لا يرتضى عبد الله برزق الله ، ويشكره على نعمة الرزق بالحفاظ عليه وحسن تنشئته ، لا بقتله أو مهانته .

وقد اعترف قاسم أمين بفضل الإسلام فى القضاء على ظاهرة وأد البنات فقال : « وكان من المباح عند العرب قبل الإسلام أن يقتل الآباء بناتهم » (١) ؛ ولذلك لم تكن له مطالب فى هذا الشأن .

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ٢٤ .

المبحث الثانى

تحرير المرأة فى مراحل التربية والتنشئة الأولى

إن المقصود من ذلك تنشئة وتربية وتعليم المرأة - منذ ولادتها حتى سن البلوغ - التعاليم الدينية والخلقية والعلمية واكتساب المهارات التى تكفل لها حسن التبعل ، كزوجة صالحة هى منبع السكن والمودة والرحمة ، وكأم مربية فاضلة تستطيع تربية أولادها التربية السليمة الكاملة ، وتدير بيتها كملكة ترعى رعيتهما ؛ وهذه الوظيفة هى أهم وظيفة للمرأة ترفرف بأجنحة السعادة على الأسرة والمجتمع وتكون من أسباب رقى الأمم وارتفاع الحضارات . كما تيسر لها العمل - عند الضرورة - كعضو فعال فى الهيئة الاجتماعية .

ويقول قاسم أمين معترفاً بأولوية وظيفة الزوجة والأم على سائر الوظائف فيقول : « نحن لا نجادل فى أن الفطرة أعدت المرأة إلى الاشتغال بالأعمال المنزلية وتربية الأولاد ، وأنها معرضة لعوارض الطبيعة كالحمل والولادة والرضاع مما لا يسمح لها بمباشرة الأعمال التى يقوى عليها الرجال ، بل نصرح أن أحسن خدمة تؤديها المرأة إلى الهيئة الاجتماعية هى أن تتزوج وتلد وتربى أولادها ، هذه قضية بديهية لا تحتاج فى تقريرها إلى بحث طويل ، وإنما الخطأ فى أن نبنى على ذلك أن المرأة لا يلزمها أن تستعد للتعليم والتربية للقيام بمعاشها وما يلزم لمعيشة أولادها ... عند الحاجة ؛ وذلك لأنه يوجد فى كل بلد عدد من النساء لم يتزوجن ، وعدد آخر تزوج وانفصل بالطلاق أو بموت الزوج ، ومن النساء من يكون لها زوج ولكنها مضطرة إلى كسب عيشها بسبب شدة فقره أو عجزه أو كسله» (١) .

وحتى يتحقق ذلك فقد فرض الإسلام للبنات حقوقاً تؤدي إلى هذه الأهداف السامية وهى :

أولاً : حق الرضاع .

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص ٦٤ .

ثانياً : حق النفقة .

ثالثاً : حق التربية والتعليم .

كما جعل ثواب حسن القيام بذلك هو الجنة ، يقوله ﷺ : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، أو أوبنتان ، أو أختان ، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة » (١) .

أولاً : حق الرضاعة :

مما لا شك فيه أن التربية والتعليم تحتاج إلى بذل أموال للمأكل والمشرب والكسوة والمأوى والتعليم وغيره ، وأول مرحلة للإبقاء على حياة المولود هي إرضاعه حيث إن الرضاعة هي الطعام والشراب والدواء في آن واحد .

والإسلام هو الدين الوحيد الذى نظم أحكام الرضاعة ، فجعلها واجباً لأبد منه ، وإذا لم يتيسر للام القيام بها ، كان لمرضعات أخريات القيام بهذه المهمة ، كما جعل تكلفة الرضاعة على الرجل إن كان ما زال زوجاً فهي من النفقات الواجبة عليه تجاه الزوجة والأسرة ، وهى مفروضة عليه أيضاً إذا طلق الأم ، وهى واجبة أيضاً على ذويه طبقاً لسلسلة الإرث إذا توفى وترك زوجة وأبناء لا ميراث لهم ولا عائل .

ويقول تعالى عن ذلك : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلَدهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلَدهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

ويفسر ذلك الإمام ابن كثير فيقول : « هذا إرشاد من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة ، وهى سنتان فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ ، وقال الضحاك : إذا طلق «الرجل» زوجته وله منها ولد فأرضعت له ولده وجب على الوالد نفقتها

(١) الترمذى (١٩١٦) وقال : « حسن غريب » ، صحيح ابن حبان (٢٠٤٤) مستند الحميدى (٧٣٨) . كلهم عن أبى سعيد الخدرى .

وكسوتها بالمعروف - أى المتعارف عليه طبقا لمستوى الغنى أو الفقر من غير تفريط أو إفراط - كما قال تعالى فى سورة الطلاق : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى ﴾ [الطلاق : ٧] .

والآية توضح ضرورة إرضاع الولد « ذكراً أو أنثى » فإن أرضعته أمه المطلقة كان لها حق الأجر على ذلك بما يناسب المستوى الاقتصادى ، وإن لم يتيسر لها ذلك أو رفضت ، أرضعته أخرى بأجرة .

ويلاحظ أن الإسلام لم يأمر باللجوء إلى الرضاعة الصناعية البديلة ، باتخاذ لبن الأنعام من بقر وجاموس أو غيره غذاء للطفل رغم توفره فى متناول أيدي الجميع حينذاك ، وذلك يرجع إلى أهمية لبن الأم أو الأم البديلة لصحة المولود ، وهذه حقيقة علمية سبق إليها النبى الأسمى ﷺ ، العلم الحديث بمئات السنوات ، حيث تبين : « أن الثديين - فى الأيام القليلة بعد الولادة - يدران اللبن المهم للوليد لرفع مقاومته تجاه الأمراض ، وفضلاً عن ذلك ، فاللبن ملين لطيف يخلص معدة الطفل من جميع الفضلات التى تراكمت فيها خلال الحمل ، علماً أن الفضل فى التخلص من هذه الفضلات يسبب انسداداً معويًا خطراً .

كما يدعم حليب الثدي الجراثيم الموجودة بشكل طبيعى فى المعدة التى لها دور فعّال فى امتصاص الفيتامينات ، فى حين أن الإرضاع الاصطناعى يسبب اضطرابها .

ومن الناحية التركيبية يتطور حليب الأم يومياً مجارياً التطور اليومى فى نمو أجهزة الطفل ، وهذا الحليب معقم لا يحتاج إلى غلى ، وإنما يجب فقط أن تحرص الأم على نظافة الثديين ، وحرارته ملائمة لجوف الطفل دائماً .

وهو أسهل هضمًا من جميع أنواع الحليب الاصطناعى ، لا محتوائه على بعض الإنزيمات الهاضمة المساعدة « (١) » .

ثانياً : حق النفقة :

نقصد بالنفقة : كافة التكاليف والأموال التى يجب أن تبذل لتحقيق حياة

(١) مجلة الوعى الإسلامى - العدد (٣٠٩٩) فبراير / مارس سنة ١٩٩٩م مقال / معتز ياسين .

سعيدة وشريفة ومناسبة للزوجة والأبناء من مسكن ومأكل وملبس وأمن وحماية وتعليم وخلافه .

وهذا الحق شرعه الله ليكفل للبت الأمن الاقتصادى والاجتماعى والنفسى ، فهو من واجبات الأب ، وإن توفى كانت من واجبات الولى من أخ للبت أو عم أو غيره ، فالإسلام حمى البنت من أن تكون كريشة فى مهب الريح ، لا تعرف لها موضعاً ثابتاً ولا موطناً آمناً ، ولكنه جعلها كلؤلؤة مكنونة محفوظة مصانة العرض ، مرفوعة الكرامة ، وافرة الشرف ، تامة الكبرياء ، وذلك منذ ولادتها حتى بعد وفاتها .

يقول تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٣٣]

يقول الإمام القرطبى فى تفسير ذلك : « لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه ، حتى يوسع عليهما إذا كان موسعا عليه ، ومن كان فقيرا فعلى قدر ذلك ، فتقدر النفقة بحسب الحالة من المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى حياة العادة » (١) .

كما يقول تعالى : ﴿ لَيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧] .

انظر أخى المسلم إلى مستوى الترغيب والتيسير البالغ عنان السماء : ﴿ وَمَن قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ [الطلاق : ٧] أى لا تخشى يا محدود الدخل يا عديم الثروة الإنفاق على زوج أو ولد ، فذلك هو السبيل لاكتساب الرزق والطريق الأكيد لليسر « الغنى » بعد العسر « الفقر والحاجة » .

إنها دعوة صريحة لبذل الجهد والمال لحسن الرعاية والتربية ، وقد أجاز الإسلام للمرأة أن تأخذ من الزوج ما يكفى لتدبير شؤون المعيشة بدون علمه .

عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم . فقال :

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦٤/١٨ . ط دار الحديث .

« خذى ما يكفيك وولدىك بالمعروف » (١) .

وقد أثنى قاسم أمين على النظام الإسلامى الذى كفل للمرأة النفقة فقال :
« بل إن شريعتنا بالغت فى الرفق بالمرأة فوضعت عنها أحمال المعيشة » (٢) وعلى ذلك فلم تكن له مطالب فيه .

ثالثاً : حق التعليم للتحرر من الجهل والإعداد لخوض معترك الحياة :

يدعى الجهلة من المستشرقين الغربيين : الدارسين المغرضين أن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين ، وهذا ظلم فادح للإسلام ؛ لانه الدين الوحيد الذى بدأ كتابه المقدس « القرآن الكريم » بالدعوة للتعليم قبل ذكر اسم الله ، فأول آية أنزلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] وثانى سوره أنزلت « القلم » وأول آياتها : ﴿ نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم : ١] فجمع الله جلّت قدرته بين القراءة والكتابة ووسيلة التدوين فى أول سورتين ، ولذلك فتعليم القراءة والكتابة كأساس يبنى عليه باقى المعارف هو فرض على كل مسلم ومسلمة ، « وقد أمر الرسول ﷺ (٣) الشفاء العدوية أن تعلم أم المؤمنين حفصة بنت عمر القراءة والكتابة » ، ويلى ذلك تعليم وحفظ القرآن الكريم ودراسة السنة النبوية وأحكام الدين التى يجب معرفتها بالضرورة من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك ، وتلك أول العلوم فغاية الله من خلقه هى العبادة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴾ [الذاريات : ٥٦ ، ٥٧] .

والتعليم الإسلامى السليم للنشء هو ماء يحى فى قلبه الإيمان بالله وحسن العبادة والتمسك بأخلاق الإسلام التى لن تزان الدنيا إلا بها ؛ ولذلك حرصت المؤمنات الأوائل على هذا التعليم فقد روى البخارى ومسلم جاءت امرأة إلى رسول ﷺ فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك

(١) البخارى فى النفقات ، باب إذا لم ينفق الرجل ... إلخ ٢٨٩/٣ ، ومسلم فى الاقضية ،

باب قصة هند ١٣٣٨/٣ . ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والدارمى .

(٢) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ٢٦ .

(٣) تهذيب الكمال ٣٥ / ٢٠٧ .

يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال ﷺ : « اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا » فاجتمعن فأتاهن ، فعلمهن مما علمه الله (١) .

ومن أراد من النساء الإشتغال بالدعوة إلى الله مصداق لقوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة : ٧١] فلا بد من التعمق والتخصص في الدراسات الدينية .

والمرأة كالرجل مطالبة بدراسة كافة العلوم اللازمة لها ، لقول الرسول ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٢) ، والعلم هنا يشمل سائر العلوم التي يجب على المرأة تعلمها ، للارتقاء بمستواها الفكرى والثقافى والحضارى ، لإكساب المعارف التي تمكنها من رعاية أسرتها ، أو العمل خارج المنزل وفقا للحاجة ، فالمرأة يجوز - بل يجب - أن تكون طيبة لعلاج النساء وتوليدهن ، وأن تكون معلمة لتعلم أولادها وأولاد المسلمين ، وحيث إن الإسلام أجاز لها العمل فى شتى المجالات - وفقا للضوابط الشرعية - ما عدا القضاء - على خلاف بين العلماء - والإمامة العظمى على اتفاقهم - فليس هناك ما يمنعها من تعلم العلوم التي تكفل لها حسن أداء وظيفتها فى البيت وهو الأساس وخارجه وهو الاستثناء .

وينبغى لنا إيضاح أن أهداف تعليم المرأة فى الإسلام يجب أن تحقق ما يلى :

- ١ - التعليم الدينى والخلقى السليم وهذا فرض عين على كل مسلمة .
- ٢ - التعليم الإنسانى والاجتماعى للإعداد كزوجة صالحة ومديرة منزل ورعاية أسرة ، وهذا أيضا فرض عين على كل فتاة .
- ٣ - تعليم العلوم الأخرى حتى تيسر لها المشاركة الفعالة فى الهيئة الاجتماعية بمزاولة بعض الأعمال التي يحتاج إليها المجتمع بالضرورة ، أو التي تضطر إليها المرأة لاستثناء .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) متفق عليه .

مطالب قاسم أمين لتربية وتعليم المرأة

نادى رائد تحرير المرأة بضرورة الاهتمام بالتربية السليمة والتعليم الكافى الراقى لتحقيق الأهداف المرجوة التالية :

١ - التمسك بالدين وتعاليمه .

٢ - الفلاح فى تأدية الوظيفة الأولى والأساسية للمرأة وهى زوجة ومربية أجيال .

٣ - الفلاح فى تأدية ما تضطر إليه من أعمال خارج البيت .

وعلى ذلك فهو نقد من يدعون لحجب تعاليم الدين أو بعض مبادئ العلوم ، ويرى أن ذلك ضرب من ضروب الاستعباد ، فيقول : « والمرأة التى يجب ألا تتعلم فروض العبادة ، كما يقول الفقهاء ومن أخذ عنهم ، أو يجب ألا تتعلم إلا مقداراً محدوداً من مبادئ بعض العلوم ، تحسب رقيقة : لأن قهر الغرائز الفطرية والموهب الإلهية على لزوم حد مخصوص ومنعها عن النمو إلى أن تبلغ الكمال الذى أعدت له يعد استعباداً معنوياً » (١) .

كما يقول عن أهمية التربية السليمة :

« وبديهي أن العمل الأول ، وهو الولادة ، هو عمل بسيط مادى تشترك فيه المرأة مع الحيوانات فلا يحتاج إلا إلى بنية سليمة ، أما العمل الثانى وهو التربية فهو عمل عقلى ، وهو محتاج فى تأديته إلى تربية واسعة واختبار عظيم ومعارف مختلفة » (٢) .

ويقول عن ضرورة وأهمية تربية المرأة للقيام بواجبها نحو أسرتها : « ففى رأى أن المرأة لا يمكنها أن تدير منزلها إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبية ، فيجب أن تتعلم كل ما ينبغى أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائى على الأقل ، حتى يكون لها إلمام بمبادئ العلوم يسمح لها باختيار ما يوافق ذوقها منها . . . فإذا تعلمت المرأة القراءة والكتابة ، واطلعت على أصول

(١ ، ٢) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ١٠٣ .

الحقائق العلمية ، وعرفت مواقع البلاد ، وأجالت النظر فى تاريخ الأمم ، ووقفت على شىء من علم الهيئة والعلوم الطبيعية ، وكانت حياة ذلك كله فى نفسها وعرفناها العقائد والآداب الدينية ، استعد عقلها لقبول الآراء السليمة ، وطرح الخرافات والأباطيل التى تفتك الآن بعقول النساء .

وعلى من يتولى تربية المرأة أن يبادرها من بداية صباها بتعويدها حُب الفضائل التى تكمل بها النفس الإنسانية فى ذاتها ، والفضائل التى لها أثر فى معاملة الأهل وحفظ نظام القرابة ، والفضائل التى يظهر أثرها فى نظام الأمة ، حتى تكون تلك الفضائل جميعها ملكات راسخة فى نفسها . . . هذه هى التربية التى أتمنى أن تحصل عليها المرأة المصرية « (١) .

هذا ، وقد قسم « قاسم أمين » التربية الواجبة للمرأة إلى أنواع ثلاثة ، كلها لخدمة المرأة كزوجة ومربية أجيال ، وللمشاركة فى الهيئة الاجتماعية وصلاحها للقيام بأعمال أخرى عند الحاجة والاضطرار .

النوع الأول : التربية الجسمية :

« أما من جهة التربية الجسمية فلأن المرأة محتاجة إلى الصحة كالرجل ، فيجب أن تتعود على الرياضة كما تفعل النساء الغربيات اللاتى يشاركن أقاربهن الرجال فى أغلب الرياضات البدنية ، ويلزم أن تعتاد على ذلك من أول نشأتها وتستمر عليه من غير انقطاع وإلا ضعفت صحتها وصارت عرضة للأمراض ؛ ذلك لأن النوااميس الطبيعية تقضى بضرورة التوازن بين ما يكسبه الجسم وما يفقده بحيث لو اختل هذا التوازن فسدت الصحة واختل نظامها ، والأمراض التى تصيب الإنسان بسبب إهماله استعمال قواه الجسمية ليست بأقل عددا ولا بأخف ضررا من الأمراض التى تصيب من ينفق قوته ولا يعوض بالتغذية ما فقد منها ، ثم إن ما تقاسيه المرأة من الآلام والمشقات حين الولادة فى مرة واحدة ربما يزيد على ما يعانى به الرجل من المتاعب طول حياته ولا يحتمله من النساء إلا القويات المزاج صحيحات الأجسام كنساء القرى المتعودات على العمل البدنى المتمتعات بالهواء النقى أما نساء المدن المحرومات من الحركة والتمتع بالشمس والهواء فلا

(١) المرجع السابق ص ٣٢ .

قدرة لهم على احتمال هذه المشقات ؛ ولذلك فإن أكثر من يعشن عليلات بعد الولادة الأولى ، وكثيراً ما يهلكن فيها » (١) .

النوع الثانى : التربية الأدبية : « أى الأخلاقية » :

« وأما من جهة التربية الأدبية فلأن الطبيعة قد اختارت المرأة وندبتها إلى المحافظة على آداب النوع ، فسلمتها زمام الأخلاق واثمنتها عليها ، فهى التى تصنع النفوس ، وهى ساذجة لا شكل لها ، فتصوغها فى أشكال الأخلاق ، وتنشر تلك الأخلاق بين أولادها فينقلونها إلى من يتصل بهم فتصبح أخلاقاً للأمة بعد أن كانت أخلاقاً للعائلة كما كانت أخلاقاً للعائلة بعد أن كانت أخلاقاً للأم .

هذا يدلنا على أن المرأة الصالحة هى أنفع لنوعها من الرجل الصالح والمرأة الفاسدة هى أضر عليه من الرجل الفاسد ، ولعل هذا هو السبب فيما قرأ فى نفوس الناس فى كل زمان من أن الرذيلة الواحدة إذا تدنس بها المرأة حطت من قدرها أكثر مما تحط من شأن الرجل لو تدنس بها ، وأن الفضيلة تعلو من شأن المرأة ما لا تعلو من شأن الرجل » (٢) .

النوع الثالث ، التربية العقلية :

ويقول عنها : « والمرأة كالرجل على حد سواء فى الاحتياج إلى الانتفاع بالعلم والتمتع بلذته ، ولا فرق بينها وبينه فى التشوق الى استطلاع عجائب الكون والوقوف على أسرارها لتعلم مبدأها ومستقرها وغايتها . ومهما عظم اشتغال المرأة ، متزوجة أو خالية ، ذات أولاد أم لا ، فإنها تجد من الوقت ما تشغف فيه عقلها وتهذب نفسها .

ولو خصص نساؤنا للمطالعة عشر الوقت الذى يقضيه فى اليوم فى البطالة ولغو الكلام والخصام لارتقت بفضلهن الأمة المصرية ارتقاء باهرا .

ولا تتحصل المرأة على المطلوب من هذه التربية العقلية بتعليمها القراءة والكتابة واللغات الأجنبية ، بل تحتاج أيضاً لتعلم أصول العلوم الطبيعية

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص ١٠٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ ، ١٠١ .

والاجتماعية والتاريخية لكى تعرف القوانين الصحيحة التى ترجع إليها حركات الكائنات وأحوال الإنسان ، كما أنها تحتاج لتعليم مبادئ قانون الصحة ووظائف الأعضاء حتى يمكنها أن تقوم بتربية أولادها » (١) .

ويقول عن تنمية الذوق عند المرأة : « فن التصوير والرسم له فائدة لا تقل عن فائدة العلم ؛ لأن العلم يعرفنا الحقيقة ، وهذا الفن يحببها إليها ولنن الموسيقى مثل هذه المزايا فإنها أفصح لغة تعبر عما فى ضمائرنا ويقول أفلاطون : إن الموسيقى تبعث الحياة فى الجماد ، ويسمو بها الفكر ويرتقى الخيال ، وتبث فى النفوس الفرح والسرور ، وترفعها عن الدنيا ، ويمثل بها إلى الجمال والكمال ، فهى من عوامل الأدب للإنسان » (٢) .

وهنا نلاحظ أن مطالب قاسم أمين الخاصة بتربية المرأة فى أغلبها إسلامية ، ولكنه انحرف عن تعاليمه فى بعضها ، ومنها مزاوله الرياضة البدنية فى الأندية مع الرجال ، تعليم اللغات الأجنبية والموسيقى ، ومرجعه تأثره بالغرب ، وابتعاده عن أحكام الدين الإسلامى .

فمن المعلوم أن مزاوله الفتاة وتدريبها على أعمال البيت المتنوعة وحركاتها الدائمة والدائبة خلاله يعطيها من اللياقة البدنية والصحية ما لن تحصل عليه فى النوادى ، التى أصبح معظمها الآن الأماكن المفضلة لترويج ولتجارة وحيارة المخدرات ، وتدخينها أيضا ، كما أنها أصبحت مراكز اجتماعية للعشق والحب المحرم والهيام .

والمطالبة بتعليم الفتيات - وليس المتخصصات - اللغات الأجنبية ، فهو نوع من الدعوة لتغلغل الثقافات الأجنبية ، وهو ليس من الضروريات خاصة وأن الشطر الأعظم من فتياتنا لم يعدن يعرفن اللغة العربية وقواعدها وآدابها وكيفية النطق السليم لها ! ولنا أن نتساءل: هل فى الغرب يعتبرون تعلم العربية فضيلة؟! أما تعليم الفنون من رسم وموسيقى وغيرهما ، فالرسم يمكن مزاولته

(١) المرأة الجديدة ص ١٠١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

كهواية وكعلم لمن يتنبأ لهن بالنبوغ فيه ، ويمكن استغلاله فى الأعمال المناسبة كتصميم الملابس والزينة المباحة وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية ، ويمكن من خلاله دراسة علم تحسين الخطوط وغيره ، أما الموسيقى فتلاحظ أن قاسم أمين تكلم عنها بصورة مقدسة وكأنها وحى إلهى ، ووصفها وفقا لوصف أفلاطون كأنها قرآن يُتلى بصوت جميل وبأسلوب تجويد قويمة وبلسان خاشع وبقلب ساجد ، وأثبتت التجربة بعد تقدم الموسيقى والغناء وما يرتبط بهما أن الموسيقى وفنونها كانت وأصبحت وستظل أكبر أدوات الشيطان للتلاعب بقلوب العذارى وأجسادهن .

إننا للأسف لم نر قاسم أمين يتحدث عن ضرورة تعليم القرآن وعلومه والسنة وعلومها بمثل ما تحدث عن قدسية تعليم الموسيقى . . ، إننا نعتقد أن قاسم أمين لم يقدر الدين الإسلامى كما قدس تعاليم وعادات وتقاليده الغرب .

هذا ، وقد دعا قاسم أمين إلى ضرورة تربية وتعليم المرأة للعمل خارج منزلها عند الضرورة فقال : « نحن لا نجادل فى أن الفطرة أعدت المرأة إلى الاشتغال بالأعمال المنزلية وتربية الأولاد وأنها معرضة لعوارض طبيعية كالحمل والولادة والرضاع لا تسمح لها بمباشرة الأعمال التى تقوى عليها الرجال ، بل نصرح هنا أن أحسن خدمة تؤديها المرأة إلى الهيئة الاجتماعية هى أن تتزوج وتلد وتربى أولادها ، هذه قضية بدئية لا تحتاج فى تقريرها إلى بحث طويل » (١) .

« نحن لا نقول للمرأة : اهجرى الزواج ولا تبغى النسل ، أو اتركى زوجك وأولادك فى البيت واقضى أوقاتك فى الطرق وعيشى كما يعيش الرجال . فإننا نكرر القول بأننا نود أن كل امرأة تكون زوجة وأن كل زوجة تكون أما ، ولكن هذا لا ينسبنا أن الواقع هو غير ما نتمنى إذ الواقع أن عددا عظيما من النساء ليس لهن عائل ولا واجبات عائلية » (٢) .

كما ينادى باستعداد المرأة للعمل وتربيتها على ذلك حتى تنجح فى التغلب على نوائب الدهر فيقول : « وحوادث الفقر والطلاق وموت الزوج والعزوبة كلها حوادث جارية ، وتقع فى كل آن ، ولما كان الاطلاع على الغيب أمرا غير

(١ ، ٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص ٦٤ ، ٦٥ .

ميسور للإنسان وجب أن تستعد كل امرأة لهذه الحوادث قبل أن تقع فيها ، لهذا نرى أن من أهم ما يجب على الآباء أن يعدوا بناتهم لاستقبال هذه الحوادث بما يدفع شرها ويقي من ضررها ويمهد لهن سبيل الوصول إلى حظ من السعادة في هذه الحياة « (١) .

ولا شك أن عمل المرأة لضرورة هو من تعاليم الإسلام (٢) .

(١) المرجع السابق ص ٦٨ .

(٢) سنرى في مبحث عمل المرأة أنه قد تخلى عن ذلك وطالب مساواتها بالعمل مع الرجال وفي شتى الأعمال .